التّرجمة وسُبُل الحِفاظ على الهويّة الوطنيّة

Translation and ways to preserve national identity

د. محمد حراث*

الرّقم التعريفي للمقال: DOI: 012-001-017-1111/10.33705

تاريخ الاستلام: 2024.04.14 تاريخ القبـول: 2024.05.05 تاريخ النشر: جوان 2024

ملخّص: تعدّ التّرجمة ضرورَةً لغويّة واجتماعيّة، فرضتْها العولمة، لا يمكنُ الإعراض عنها أو الاعتراض عليها. كما تعدّ التّرجمة أيضا، في الوقت الرّاهن، إحدى الوسائل التي تَخْدُمُ اللّغات في أوطانها عامّة، واللّغة العربيّة في الجزائر خاصّة، إذْ تَخدُم الهويّةَ الوطنيّة والمواطنة اللّغويّة، وتخدُم التّعايشَ اللّغويّ في ظلّ التّعدّد اللّغويّ والتّنوّع اللّهجيّ في الجزائر. كما تعدّ التّرجمة حلّا ثانيا في ظلّ عجزنا عن مواكبة العلوم إنتاجًا وابتِكارًا وتطويرًا، إذْ تقف اللّغة حاجزًا أمام الشّعوب إزاءَ هذا الجديد، فتأتي الترجمةُ وسيلةً وجِسْرًا تَعبُرُ خلالَهُ هذه الشّعوب والمجتمعاتُ إلى هذه العلوم والمعارف. فانطلاقا من هذه الأفكار، وغيرها؛ تهدِفُ هذه المداخلة إلى تحقيق مفردات العنوان الذي ارتأيناه لها، من تحقيقٍ لسُبل توطين أسُسِ الهويّة الوطنيّة اللغوية عن طريق التّرجمة.

الكلمات المفتاحيّة: التّرجمة؛ الهويّة؛ المواطنة؛ العولمة؛ اللغة.

Abstract: Translation is a linguistic and social necessity, imposed by globalization, that cannot be viewed or challenged. At the current time, translation is also one of the means of serving languages in Algeria's home countries and Arabic in Algeria in particular, serving national identity, linguistic citizenship and linguistic coexistence in Algeria's multilingualism and theological diversity

Translation is also a second solution in our inability to keep up with the production, innovation and development of science, as language stands as a barrier for people in the face of this new, translation comes as a means and a bridge through which these peoples and communities cross to these sciences and knowledge. Based on these and other ideas; This intervention aims to achieve the title vocabulary we saw for her, from the means of localizing the foundations of the national linguistic identity through translation.

Keywords: translation; Identity; Citizenship; globalization; language.

*- جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.

البريد الإلكتروني: momo.adab@gmail.com (المؤلف المرسل).

مقدّمة: لا يختلف الباحثون في أنّ اللّغة كائنٌ حيٌّ، يعتريها ما يعتري الكائن الحيّ، من حياةٍ وموت، ومن تواصل وتأثّر وتأثير. واختلاف الأزمنة والأمكنة والمنشأ أدّى إلى اختلاف اللّغات والألسنة واللّهجات، ولأنّ اللّقاء بين البشر أمرٌ محتومٌ، فمهما تباعدت الأمكنة، فهي مترابطة متّصلة، وتنقّلات البشر لا تنقطع، فإنّ التّرجمة أكثر وسيلةٍ يتجاوز بها النّاس عائق اللّغة، لا تقلّ ضرورة عن ضرورة التّواصل اللّغويّ.

وإن كانت الترجمة في العموم هي نقلُ المعنى من لغةٍ إلى أخرى، فإنّها لا تقف عند هذا الأمر، وإنّما تتجاوز ذلك إلى بنقل ثقافةٍ من جماعةٍ إلى أخرى، وفي هذا يقول (لادميرال) عن التّرجمة: "الولوج إلى عالمٍ آخر، عالَمٍ لغويّ وثقافيّ"[1]. ويرى (فريمر) أنّ النصّ المترجم بحكم طبيعته موجّه إلى الثّقافة التي يُترجم إليها، ومن ثَمَّ فينبغي أن يخدم هذه الثّقافة، لهذا قد يختلف النصّ المترجم عن النّصّ الأصلي اختلافا كبيرا، بحسب الغرض المقصودِ منه، لكن هذا لا يعني أنّ المترجم ملزم بتكييف ترجمته مع الثّقافة المنتفعة منها، وإنّما هو مخيّرٌ إذا ما اضطرّ إلى ذلك[2].

واللّغة العربيّة احتكّت بغيرها من اللّغات منذ الجاهليّة إلى اليوم، بدءًا بالفرس والأحباش والرّوم والسّريان والنّبط، وغيرهم من الأمم التي جاوروها. وهذا أمرٌ طبيعي ولا بدّ منه، ويتعذّر على لغةٍ أن تعيشَ وحدَها، أو أن يكتفيَ الإنسانُ بلغةٍ واحدة، ولقد عرف العربيّ أهمّية الاطّلاع على لغة الآخر وثقاته وحضارته، فعجّ العصر العبّاسي بحركة ترجميّة كبيرة، في فنون عديدة، وعن أمم مختلفة.

وتأثير اللّغة العربيّة في غيرها من اللّغاتِ أمثلتُه في التّاريخ كثيرة، بدءًا من العصر العبّاسي، حين كانت الخلافة الإسلاميّة قويّة، وكذا في الحقبة الأندلسيّة، إذ ترجم الأوروبيّون التّراث العربيّ، وانطلقوا من خلاله نحو نهضتهم العلميّة، وفي العصر الحديث، تنتشر اللّغة العربية بقوة وكثرة في الدّول الإسلاميّة، كتركيا وأندونيسيا وماليزيا، وإيران، وغيرها.

وكيف لا تؤثّر العربيّة في غيرها من اللّغات، وقد امتدّت في العصر العبّاسي جغرافيا من إسپانيا والبرتغال غربًا، إلى حدود الصّين شرقًا، ومن سفوح الأناضول شمالا، إلى أواسط إفريقيا جنوبًا، ولم تنازل العربيةُ لغةً إلا غلبتْها، فقد تغلّبت في العراق على الآرامية والنّبطيّة، وفي إيران على اللّغة الفارسيّة، وفي الشّام على السّريانيّة واليونانيّة، وفي بلاد المغرب على البربريّة واللاتينيّة، وفي الأندلس على الرومانثية الإسپانية[3]، دون أن ننسى كذلك لغاتٍ ما زالتْ حيّة، فيها ما لا يُحصى من كلماتِ العربيّة، كاللّغة الإنكليزيّة مثلا.

1- أيّ ترجَمَةٍ نريدُ؟ أراني في هذا التّساؤل أشاطر أستاذي الدكتور صالح بلعيد[4]، الذي تساءل قائلا: سيكون للتّرجمة دورٌ في تشفير اللّغات مستقبلا، لكن بأيّ لغة؟ ولكي يكون للعربية إطارها تحت شمس اللّغات المطلوب ودّها، هل سيكون لنا وعيٌ بأهمّية التّرجمة كفعل السّلف، بأنْ نستوعب ونصدّر، وأن نكثّف التّرجمات في ركام ترجميّ لنخرج بالنّوع المطلوب؟ أم سيكون لنا فقط وعي الأخذ للّحاق بالرّكب؟ ذلك مبتغانا الّذي نريد للتّرجمة أن تحمل الخميرة الّتي تضخّم اللّغة العربيّة ليكون لها موقع التّأثير والأخذ، والانتقال إلى المثاقفة في حدود التّفاعل عبر الأفكار والكلمات والمسكوكات المهاجرة أخذًا وعطاءً، وإيجاد الأعشاش المطلوبة للتّفريخ.

ويحقّ لنا أن نتساءل أيضا: كيف السّبيلُ إلى وعْيٍ تَرجَميّ، يخدم اللّغة العربيّة بصفة خاصة، والتّراث والتّاريخ والوطن بصفةٍ عامّة؟ ثم: ماذا نترجِمُ؟ وما هي الخطّة التي يجب وضعها، ثمّ تنفيذُها من أجل الفعل التّرجمي؟ ومتى يمكننا الخروج من التّرجمة الشّخصيّة إلى التّرجمة الجَمْعيّة الفريقيّة؟

ونتساءل كما تساءل قبلنا شوقي جلال[5]: ما هو نصيبنا من الفكر العلمي أخذًا وعطاءً؟ وكيف يجري اختيار هذا النّصيب الذي نحصل عليه شذراتٍ لا نَسَقًا، بحسب عدد الأفراد الذين حظوا بالاطّلاع عليه؟ وهل يمثّل الفكر العلميّ المترجَم ركائز العلوم الأساسيّة البحتة والتّطبيقيّة، ويجسّد عندنا دعامة أساسيّة في بنية تنمويّة استراتيجيّة ورؤية مستقبليّة؟ فليست التّرجمة نقل معارف فقط، بل هي تواصلٌ بين الحضارات وبناءٌ للذّات. ولم تعد الحاجة إلى التّرجمة حاجةً كلاسيكيّة تقليديّة لتجاوز الحاجز بين المتّصلَيْن لغويا، إذا اختلفتْ لغتهما، وإنّما تجاوزت التّرجمة هذه الغاية، إلى غايات أسمى، تمسّ الثّقافة والتّنمية وإنتاج المعرفة، أو نقلها، أو التّعبير عنها، والتّسويق لها. هذه هي التّرجمة التي نريدُها.

2- استقصاء الواقع التّرجميّ في الجزائر: تكادُ اللّغات الثّلاث: العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة، هي اللّغات التي تتبوّأ المقام الأوّل في الاهتمام التّرجمي للباحثين والعاملين في مجال التّرجمة، وتحتلّ اللّغات الأخرى المرتبة الثّانية كالإسبانية والتّركيّة والصّينيّة مؤخّرا، ولكلّ ذلك عوامل بيئيّة وتاريخيّة أو اقتصاديّة.

فإنّ الفرنسيّة ما زالت تحتلّ المرتبة الأولى في سلّم التّرجمة في الجزائر، بفعل التّاريخ الطّويل، وبفعل تكوين المترجمين الجزائريين، ثمّ تأتي الإنكليزيّة ثانيا، إذْ فرضت نفسها بفعل العولمة المفروضة على السّاحة الثّقافية، حيث أصبحت الإنكليزيّة لغةَ التّواصل العالميّ الأولى. ثمّ لغاتٌ أخرى، كالإسبانيّة التي شاع تدريسها في الثّانويات الجزائريّة، وبفعل الموقع الجغرافيّ القريب من الجزائر، ثمّ التّركيّة التي عملت السّياحة والدّراما والإعلام على تحفيز تعلّمها في البيئة الجزائريّة، وكذا الصّينيّة مؤخّرا بسبب توجّه السّياسة الجزائرية إلى تمتين العلاقات مع دولة الصّين الشعبيّة، بفعل التّبادل الاقتصادي الكبير بين البلدين.

ويكاد الجانب الاقتصاديّ يغلب على سبب ممارسة التّرجمة في الجزائر، تتقدّمها ترجمة الوثائق الرّسميّة بغرض الحصول على التّأشيرات مثلا، أو ترجمة الوثائق القانونية، أو ترجمة الإشهارات الاقتصادية في المؤسّسات التّجاريّة، هذه العوامل وغيرها تجعل التّرجمة في الجزائر مطلبا ملحّا وضروريّا لقضاء المصالح[6].

إلا أنّ الملاحظة التي تميّز مخرجات التّرجمة في الجزائر أنّ أثرها مؤقّتٌ؛ "إذْ تنتهي صلاحيّة أغلبها بعد قضاء المصلحة منها، واستيفاء الحاجة، ولا يمكنها بشكلها الحاليّ أن تكون موضوع تأثير لا إقليميًّا ولا عالميًّا أبدًا، بل هي ترجماتٌ موجّهةٌ للاستهلاك المحلّي وحسب، وتعجز أن تخرج من الفرديّ أحيانًا"[7]. فترجمة الوثائق الرّسميّة أو الإعلانات والإشهارات تنتهي صلاحيتها بعد قضاء المصلحة، ثمّ هي ترجمة شخصيّة محدودة الزّمان والمكان، حتّى الرّوايات والأعمال الأدبيّة والكتب، فإنّ تأثيرها محدود، فغالبية الكتب التي تترجم، على قلّتها، هي التي يتطلبها السّوق، كالكتب المدرسيّة وبعض الرّوايات، كما أنّ الجامعات الجزائرية، على كثرة طلبتها المتخرّجين في التّرجمة، فإنّ غالبيتهم يوجّهون إلى تدريس اللّغات الأجنبيّة، ومن نجا من التّدريس فإنّه يتوجّه إلى التّرجمة

الفورية في مكاتب التّرجمات الخاصّة، وهذا كلّه له تأثيره المؤقّت المحدود. فلم تعد التّرجمة، الموجودة حاليا، تجيب على أسئلة التّنمية والتّسويق الثّقافي، والتّناقل العلميّ والمعرفي بين الشّعوب.

ثمّ إنّ من بين إشكالات التّرجمة في الجزائر، طغيان اللّغة الفرنسيّة على معظم الأعمال المترجمة، وغياب أو تأخّر اللّغة الإنكليزيّة، فما زلنا مرتبطين باللغة الفرنسية، وهذا الارتباط سيعمل على توسيع الهوّة بين التّرجمة العالميّة والتّرجمة في الجزائر، فقد أضحى سوق اللّغة الفرنسية ضئيلا جدّا في الأسواق العالميّة، في الوقت الذي تتّجه فيه دول العالم، حتّى فرنسا نفسها، إلى اللّغة الإنكليزيّة العالميّة.

ويُلاحظ واقعيًّا الفردانيّة في العمل التّرجميّ، وهذا لغياب سياسة ترجميّة واضحة، تضع خارطة طريق أمام المشتغلين في السّياسة، دعما وتوجيهًا. وما زال سهم التّرجمة متّجها اتّجاها واحدا: التّرجمة إلى العربية، وأمّا التّرجمة من العربيّة إلى غيرها من اللّغات فقليل جدًّا، وربّما أكثر نقطة بارزة في هذا الاتّجاه الثّاني، هو ترجمة القرآن العظيم، وما يتّصل به من أحاديث نبويّة أو أذكار، إلى لغات أخرى، من قبل عَرَبٍ وغير عرب، لأسباب دينيّة، وبعضُها تجاريّة. وهذه الارتجاليّة والفردانيّة في التّرجمة هي أحد أسباب ضعف التّرجمة في الجزائر والوطن العربيّ، ويرجع ذلك إلى غياب التّنسيق والتّعاون بين الأقطار العربيّة، فكلّ بلادٍ وطريقتها في التّرجمة، ومع غياب التّخطيط التّرجميّ، فأدّى ذلك إلى فوضى المصطلحات، وإعادة ترجمة الواحد مرّاتٍ عدّة. فالتّرجمة في وطننا العربي تأخذ صفة العمل الإبداعي التطوّعي أكثر من أنها مشروع علمي حضاري.

أضف إلى ذلك أن قلة التّرجمة في الجزائر خاصّة لا يتعلّق بكمّية الكتب المترجمة فقط، بل بالكيفيّة أيضا، فمعظم الكتب المترجمة جاءت في الإنسانيات والأدبيات، وأمّا العلوم والتّقنيات فهي أقلّ بكثير، وإن كانت التّرجمة من اللّغات إلى العربيّة قليلة، فهي من العربيّة إلى غيرها أقلّ بكثير. والإحصاءات السّنويّة تدل على ذلك، فالدّول العربيّة مجتمعة لا تصل ربما إلى نصف ما تترجمه دولة أوروبية متقدّمة.

إنّ من معوّقات التّرجمة في البلاد العربيّة والجزائر خاصّة، الثّقافة الاجتماعيّة التّقليديّة السّائدة، الّتي تتجلّى في أساليب التّنشئة، إنّها ثقافة تقتل الفضول المعرفيّ، وتئد نزوع مغامرة البحث عن المعرفة والمجهول، وتجعل النّظر إلى الإبداعات ضربًا من المعجزات[8]، فلا تبحث في علل الإبداع، وإنّما تتواكل وترضى بدور المستهلك المرتاح، إكبارًا لجهد المنتجِ وتعبه. هذه النّظرة السّلبيّة قد تكون سبب تأخّرنا في التّرجمة.

إنّ واقع التّرجمة في الجزائر يحتاج إلى نظر، على الرّغم من احتضان الجزائر للمعهد العالي العربيّ للتّرجمة. ويرى المترجم الجزائري سعيد بوطاجين بأنّ أزمة الترجمة في الجزائر تعود إلى غياب قانون أساسي للترجمة، والمترجم الذي من شأنه أن ينظّم محيط الترجمة في الجزائر.... وشدد المتحدث على ضرورة إيجاد سياسة وطنية واضحة للتّرجمة والمترجمين تكرس الاحتراف؛ لأنّ المترجم في الدول التي تحترم نفسها يمتلك حقوقا كاملة، ويرى بأنّه من الضّروريّ اليوم أن نحدّد أولوياتنا حول ماذا، كيف ومتى نترجم، والأهم من ذلك أن نحدّد من هو المترجم[9]. وبإلقاء نظرة خاطفة على تقارير اليونيسكو الإحصائية كشفت أنّ ما أنتجه العرب في مجال التّرجمة مجتمعين خلال ثلاثة عشر (13) قرنا، لم يتعدَّ عشرة آلاف كتاب مترجم، وهو العدد الذي تترجمه إسبانيا لوحدها خلال سنة واحدة.

3- التّرجمة خادمة للهويّة الوطنيّة: تبدأ الهُويّة بتعرّفنا على الذّات/ الأنا، ولا يمكن هذا التّعرّف على الأنا إلا بالتّعرفّ على الآخر واكتشاف هويّته وثقافته، واختلافه عنا، واختلافنا عنه. ومترجِمُ الأدب مثلا أكثرُ الأدباء تفاعلاً مع قضية الهوية ومعايَشةً لإشكالاتها، ذلك أنه يجد نفسَه يتعامل مع هويّة أخرى تختلف عن هويته في أمور كثيرة، تأتي اللّغة على رأسها بحمولتها الثّقافية، مع ما يقترن بها من قِيمٍ ورؤيةٍ للعالَم وعاداتٍ، يكون عليه أنْ يعيَها، وأن ينجح في الرُّسُوّ بها سالمة على ضفاف الثقافة الحاضنة[10]. لذا فإنّ المترجم في الصّفوف الأولى المدافعة عن الهويّة الوطنيّة. وإزاءَ ذلك "يعيش المترجِمُ التوزَّع بين أنْ يكون مُؤلّفاً ثانياً للعمل بِمُنجَزِه في ثقافة الوصول؛ أي أن يَكونَ ذاتَه، وبين أنْ يكونَ مجرَّد وسيط أو صدًى لآخر"[11].

إنّ المترجم وهو يصبّ ثقافة الآخر وهويّته في إناء هويّته وثقافته، فإنّما عليه أن يحذر أن يكون هذا الصّبُّ صبَّ انصهارٍ وتذويبٍ، انصهار في هويّة الآخر، وتذويبٍ لهويّة الأنا، وإنّما يجب أن يكون صبّ تطلّعٍ إلى ثقافة الآخر، ومعرفةٍ بها، صبَّ زيادةٍ لا صبّ تبديل. وقد لاحظ الباحثون في تاريخ التّراث العربي، كيف أثّرت التّرجمة سلبًا على الهويّة الإسلاميّة في العصر العبّاسي، حين اتّجهت الترجمة إلى المؤلفات التي تتعارض في محتواها مع التّفكير العربي الذي ينطلق من تعاليم الدّين الإسلاميّ، وأعني بذلك بعض كتب الآداب الأجنبيّة والفلسفيّة والإلهيّات والمعتقدات الدّينية لليونان وغيرهم.

ويرى بعضهم أنّ المترجم يجب أن يكون محايدًا، أي أن تكون التّرجمة أداةً ووسيطًا للتّعبير عن الاختلاف، وهذا المترجم قد يكون له تأثيرٌ سلبيٌّ على الثقافة المحلّيّة والهويّة الوطنيّة، إذا لم نخطّط لما سنترجمه، ولم نختر بعناية ما نترجمه، فإنّ التّرجمة سلاحٌ ذو حدّين، فقد ننقل ما ينفعنا، وقد ننقل ما يضرّنا ويُذيبُنا في ثقافة الآخر. وهذا أمرٌ غير ممكن في رأينا، فإنّ المترجم لا يستطيع أن يُحايِدَ، على الأقل في مجال الإنسانيات، فهو متخمٌ بتوجهاته الثّقافية، واختياراته السّياسيّة، وانتماءاته الطّبقيّة والاجتماعيّة، واعتقاداته الدّينيّة.

إنّ الإشكال لا يكمن في النّقل من العربيّة إلى غيرها، فإنّ هذا النّقل/ التّرجمة هو من أكبر عوامل الحفاظ على الهُويّة ونشرها، وإنّما يكمن في النّقل إلى لغتنا، فإنّ الكثير من التّرجمات هي مِعول هدم في يد العولمة التي تحاول القضاء على كلّ تنوّع ثقافي، أو تميّز، وتحاول فرض ثقافة عالميّة موحّدة، أو لنقل: فرض ثقافة الأقوى المتغلِّب.

4- التّرجمة عاملٌ من عوامل التّعايش الثّقافي: التّرجمة التماسُ معرفةٍ وتفاعُلٌ حضاريّ، عن طريق النّقل البشريّ أو الآليّ من لغةٍ إلى لغةٍ، تحريريًّا أو شفاهيًّا، وتنقسم المجتمعات إلى قسمين: مجتمعات جاذبة للعقول ومجتمعات طاردةٌ لها، وترصد جميع الأمم على مدى التّاريخ جهود المحيطينَ بها، والمنافسين لها، والمتصارعين معها، ويحرصُ البلد الناهض على استيعاب جهود الآخرين، وتمثّلَ الإيجابيّ منها، ضمن جهوده الهادفة إلى التّفوّق[12]. لذا فإنّ التّرجمة جسرٌ ضروريّ بين الأمم والثّقافات.

وقد تكون التّرجمة جسرا للتّواصل داخل الأمّة الواحدة، ذات الاختلاف والتّنوّع اللّغوي والثّقافي، مثل الجزائر، فإنّ التّرجمة تعمل على تمتين التّعايش والمثاقفة بين اللّغة العربيّة والأمازيغيّة، ولا ننكر في هذا المقام بعض الجهود التي تحقّقت في هذا المجال، منها أعمال الشّيخ محند سي الطّيب في ترجمة معاني القرآن

العظيم إلى الأمازيغيّة، وكذا بعض القواميس[13]، منها قاموس عربيّ أمازيغيّ من تأليف عبد الملك منّيش، وكذا قاموس ثلاثيّ اللّغات: أمازيغيّ عربيّ فرنسيّ، من تأليف شعبان بوعريسة سنة 2007.

5- التّرجمة سلاحٌ في معترك العولمة: بالنّظر إلى مقدّرات الجزائر، من حيث الرّقعة الجغرافيّة الواسعة، وعدد الجامعات التي تتوزّع على كامل التّراب الوطنيّ، وكذا عدد المتخرّجين سنويًّا، والحاملين للشّهادات العليا في التّرجمة: (دكتوراه، ماجستير، ماستر، ليسانس)، فإنّه يُنتَظَرُ منها أنْ تكون ذات تأثيرٍ بارزٍ على السّاحة التّرجميّة.

فجنوب إفريقيا، على سبيل التّمثيل، تحتلّ المرتبة الأولى إفريقيًّا على صعيد الإنتاج التّرجميّ، على الرّغم من أنّه لا تختصّ في التّرجمة لديهم إلا جامعتان اثنتان، ولا ننسى السّينغال التي فيها أحد أجود برامج التّرجمة في إفريقيا، وتعدّ العربيّة فيها واحدةً من لغات التّخصّص فيه أيضًا. وكذلك الكاميرون التي تحتضن إحدى المدارس الأكثر شهرة في إفريقيا في التّرجمة، والعربيّة إحدى لغات التّخصّص فيها أيضًا. وأمّا عربيًّا فتتصدّر لبنان البلدان العربيّة، وتعدّ مدرسة (القدّيس يوسف) أحسن مدرسة للتّرجمة في لبنان[14].

إنّ الجزائر، كغيرها من الدّول، يجب أن تستعد للّحاق بالدّول الأخرى، فالعولمة واقع محتومٌ، ووسائل الاتّصال والتّواصل، وضرورات اللّقاء صارت شائعة ملحّةً، لا يمكن الهروب منها. فالشّعوب تتلاقى يوميا، والجامعات تتراسل دوريًّا، والمثقفون والباحثون لا يتوانون من جميع الدّول أن تكون بينهم حلقات التّواصل العلميّ فعّالة، لذا وجب العمل على دعم التّرجمة من العربية وإليها، للسّيطرة على الوضع.

والتّرجمة في ظلّ هذا التّفاعل والتّلاقي والانفتاح بين الشّعوب، تستلزم معرفة الآخر ومعرفة الذّات، أو بتعبير آخر: معرفة الطّرفين في حلقات التّرجمة، فالتّرجمة ليست مجرّد ترجمةٍ لغوية جافة للألفاظ والمصطلحات ومعانيها، وإنّما اللّغة حمولة ثقافيّةٌ ووعاءٌ حضاريّ، نتعرّف من خلاله على ثقافات الشّعوب الأخرى، وتفعيل مبدأ التّأثّر والتّأثير.

6- اللّغة العربيّة والتّرجمة: إذا ما عدنا إلى المشهور من تراثنا، فإنّ زيد بن ثابت (ض) تعلّم السّريانيّة بأمرٍ من النّبيّ (ص) في ثمانية عشر (18) يومًا، وهذا لأهمّية امتلاك لغة الآخر، فمن تعلّم لغةَ قومٍ أمن شرّهم، كما قال الأوّلون، ومن الشّائع أيضا أنّ في عصر الخلافة الإسلاميّة الذّهبي، كانت التّرجمةُ سياسةً للدّولة، فقد فتحت بغدادُ أبوابها للمترجِمين، وأجزل الخلفاءُ لهم العطاء، وبذلوا كلّ ما استطاعوا في ترجمة كل ما وصلوا إليه. ويشهد العصر العبّاسيّ بتاريخٍ ذهبيّ حافلٍ بإنجازات عظيمة في التّرجمة، بالرّغم من الفارق الكبير بين إمكانيّات الأمس واليوم، إلا أنّهم استطاعوا التّرجمة في فنون عدّة مختلفة، ولم يشتكوا ولم تشتكي العربيّة من قدرة استعابها للفنون عامّة والعلوم خاصَّةً، بل كانت اللّغة العربيّة في العصر الأندلسيّ خاصَّةً جسرا لعبور العلوم العربية من كيمياء وفيزياء وفلك ورياضياتٍ وطبّ وغيرها إلى أوروبا، ولم نشهد هذا التّشكّي إلاَّ من أعداء العربيّة في هذا العصر البئيس.

لقد كانت العربيّة في عصورها الزّاهرة حلما لغير العرب، يتسارعون لتعلّمها من أجل نيل الحظوة والتّعرف على المعارف والعلوم، وقد برزت أسماءٌ كثيرة على السّاحة التّرجمية آنذاك، منهم: الخوارزميّ، وأبو بكر الرّازي، وأبو نصر الفارابي، والحسن بن الهيثم، وأبو إسحاق الكندي، وغيرهم، وأعمالهم مشهورة معروفة.

إنّ التّرجمة إلى العربيّة ومنها ضرورةٌ ماسّة ملحّة شديدةٌ، لا مناصّ منها؛ فإنّ التّرجمة من العربيّة خاصّة تنقل ثقافاتنا المحلّية إلى العالميّة، تفتح باب التّلاقي والتّثاقف بين الشّعوب، ولمَ لا باب السّياحة، التي تعدّ في عصرنا الحالي من أكبر الرّوافد الاقتصاديّة. وأمّا التّرجمة إلى العربيّة ففيه إغناءٌ لها بالمصطلحات الحديثة، كما فعلت التّرجمة في العصر العبّاسيّ.

كما أنّ التّرجمة هي أقرب وسيلة إلى التّوصل إلى آخر اجتهادات وابتكارات الآخر، وآخر أفكاره التي توصّل إليها، وقد أقبلتْ كثير من الأمم "على نقل وتحويل ما أمكن من المعارف والمعلومات والابتكارات إلى لغتها الأم أو الرّسميّة، مشكّلةً بذلك رافدًا تنمويا في شتّى حقول العلم والمعرفة، والذي من شأنه إضافةَ لَبِناتٍ في بناءِ صرحِ التّراكم الحضاريّ بين الأمم، والذي يعدّ الفعلُ التّرجميُّ أبرز ركائزه الأساسيّة"[15].

7- جهودٌ تَحَقّقتْ: عرفت السّاحة الجزائريّة جهودا تستحقّ التّنويه والإشادة، فهناكَ أعلامٌ خدموا التّرجمة تأليفًا وتنظيرًا، وهيئاتٌ تشتغل في ميدان التّرجمة إشرافا وتكوينًا، نذكرُ منها:

أ- شخصيّاتٌ بارزةٌ في التّرجمة:

* محمّد بن أبي شنب، قامة جزائرية في العلم عامّةً وفي التّرجمة خاصّةً، وقد "انتقى ما ترجمه خلال الفترة الممتدّة ما بين 1916م و1928م عن وعيٍ منه بدور التّرجمة في التّلاقح الثّقافيّ بين الأمم، ودفاعًا عن إنجازات الحضارة العربيّة التي لحق التّزييفُ بعضًا منها بفعل الغزو الثّقافيّ"[16].

* الدكتور حنفي بن عيسى؛ أستاذ بجامعة الجزائر ورئيس تحرير مجلة الثقافة.

* عبد الرحمن مزيان، جامعة بشار، اشتغل على ترجمة روايات ودواوين شعرية.

* إنعام بيّوض، كاتبة وشاعرة، وفنّانة تشكيليّة، ومديرة المعهد العالي للتّرجمة، لها أعمالٌ ترجميّةٌ معتبرة.

* عبد الرحمن الزّاوي، رئيس مؤسّسة بيت التّرجمة الجزائريّ، رفقة بعض الباحثين المختصّين في التّرجمة.

* محمّد يحياتن، رحمه الله، جامعة تيزي وزو، قامة علمية في التّرجمة.

* وأسماءٌ أخرى لا يتّسع المقام لذكرها جميعا، أسماءٌ جزائريّة لها من الخبرة والقدم الرّاسخة، ما يجعلها أهلا لتخطيطٍ ترجميٍّ واعٍ وفعّال، يرفع بالعربيّة قُدُما إلى التّطوّر في مجال التّرجمة، تأثيرًا، لا تأثُّرًا فقط.

ب- هيئاتٌ رسميّة في التّرجمة: لا تكفي الجهود المنفردة، بل يجب التّكتّل في ظلّ مؤسسات وهيئات فاعلة، يمكنها تغطية النشاطات، والإشراف عليها وتنظيمها، من بين هذه الهيئات نذكر:

* بيت التّرجمة الجزائري: تأسّس سنة 2008 بالجزائر، ترأسه: الأستاذ عبد الرحمن الزاوي، ويعمل به فريق من الباحثين المتخصّصين في التّرجمة. يُعنى بترجمة الأعمال الأدبيّة خاصّة، كالرّواية، والنّقطة الإيجابيّة في ذلك، أنّها تُترجم من العربيّة إلى اللّغات الأجنبيّة، تعريفًا بالأدب الجزائريّ، وخدمةً للّغة العربيّة.

* مركز البحث العلميّ والتّقنيّ لتطوير اللّغة العربيّة: وله فروع بالعاصمة وتلمسان وورڤلة، من مهامّها خدمة اللّغة العربية على صعيد التّرجمة.

* المدارس العليا وأقسام التّرجمة في الجامعات، كالمدرسة العليا للتّرجمة بالجزائر، وأقسام التّرجمة بجامعات الجزائر، ووهران وتلمسان، إضافة إلى معهد التّرجمة والتّرجمة الفوريّة بالجزائر.

* المعهد العالي العربيّ للتّرجمة بالجزائر: تمّ تأسيسه سنة 2004، ترأسته الدّكتورة إنعام بيّوض، وهو مفتوحٌ للطّلبة من أجل تقوية مستواهم اللّغويّ في اللّغة العربيّة والإنكليزيّة والفرنسية.

* المجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر، ومن مهامّه: التّرجمة من العربيّة وإليها.

* المخابر العلميّة بالجزائر: تضمّ الجامعات الجزائريّة مخابر عدّة في التّرجمة، كمخبر التّرجمة وتعليميّة اللّغات، جامعة عنابة، برئاسة سعيدة كحيل، ويضمّ فرق بحثٍ تعمل في مجال التّرجمة وتعليميّة اللّغات[17].

ث- منشوراتٌ في التّرجمة: من هذه المنشورات: مجلّة (معالم) الصّادرة عن المجلس الأعلى للّغة العربيّة. ومجلّة (المترجم) الصّادرة عن مخبر التّرجمة بجامعة وهران، ومجلّة (دفاتر التّرجمة) الصّادرة عن جامعة الجزائر2.

هذه بعض الجهود البارزة في ساحة التّرجمة بالجزائر، ما يعني أنّ البذرة قد بُذِرت، لكنّ السّقّاء والمتعهّد ما زال لم يعطِها الاهتمام اللازم اللائق بأن تطلق أفرُعها في سماء العلم والعلوم.

خاتمة: تحتاج التّرجمة من العربية وإليها في الجزائر إلى جُرعاتِ تطعيمٍ كثيرة، نُجمِلها في صورةِ مقترحات وتوصياتٍ، فحواها:

- العمل على إنشاء مَرصَدٍ يُتابع أوضاع التّرجمة وواقعها في الجزائر، فيُحصي الجهود، ويقيّمُها، ويعمل على إعطاءِ صورة حقيقيّة للوضع التّرجميّ في الجزائر؛

- دعم الإرادة الجادّة في دعم الجهود التّرجميّة وتشجيعها، من خلال التّسهيل في فتح المخابر المتخصّصة في التّرجمة، ورصد ميزانيّة مخصّصة للأفراد والمؤسسات في هذا الشّأن، ولمَ لا وضع جوائز ومسابقات تحفيزيّة للأعمال التّرجمية كلّ سنة.

- تحتاج التّرجمة إلى فتح الفضاءات التي تستوعب اللغات الأجنبيّة تدريسًا وتعليما، فهذا الانفتاح على اللّغات الأجنبيّة صار ضروريًّا وجادًّا في ظلّ العولمة اللّغويّة والتّسارع والتّسابق في جميع المجالات بين الأمم والدّول والشّعوب؛

- السّعي إلى تصنيف المجلات المحكّمة الدّوليّة، ممّا يجعلُها قبلةً للباحثين من خارج الجزائر أيضا، يُسهِمون في تطوير التّرجمة نظريّا وتطبيقيًّا تستفيد منها الجزائر لا محالة؛

- وكذا دعم دور النّشر المتخصّصة في التّرجمة، ومرافقتها ومراقبتها، مرافقة من أجل الدّعم والدّفع بها إلى الأمام، ومراقبة حتّى لا تحيد هذه الدّور عن الدّور المنوط بها، ونتحاشى فوضى النّشر، وضحالة المحتوى ورداءَة المضمون. والدّعم يكون مادّيا وعلميا، برفد هذه الدّور بلجانِ قراءة متخصّصين يسهمون في تقويم الأعمال وتصحيحها وتوجيهها؛

- إعداد جردٍ بيبلوغرافيّ للأعمال المترجمة وللمترجمين، هذا الجرد والإحصاء يمكّننا من التّخطيط مستقبلا للتّرجمة، والوقوف على الواقع ومعالجته، وعدم الوقوع في تكرار ترجمة الأعمال، أو إغفال الأعمال التي تستحقّ التّرجمة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أسماء سليماني، محمّد بن أبي شنب، نموذج التّلاقح الثّقافيّ بين الشّرق والغرب، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، الجزائر.
2. جمال قوي: التّموقع الإقليميّ والعالميّ للتّرجمة الأكاديميّة والمهنيّة الجزائريّة-استقصاء الواقع واستراتيجيّات النّهوض، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، الجزائر.
3. جميلة روقاب: التّرجمة ومعالم ازدهار اللّغة العربيّة، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2017.
4. سعيد أحمد بيّومي: أمّ اللّغات، موقع كتب عربية، ط1، 1423هـ/ 2002م.
5. شوقي جلال: التّرجمة في العالم العربي الواقع والتّحدّي، موقع كتب عربية.
6. صالح بلعيد: أسئلة الترجمة أسئلة ازدهار اللغة العربية، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، الجزائر.
7. عهد شوكت سبول: التّرجمة الأدبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، (رسالة ماجستير)، الجامعة الأمريكيّة، بيروت، لبنان، 2005.
8. فتيحة بوتمر: التّرجمة من اللّغة الأمازيغيّة إلى اللّغة العربيّة قراءةٌ وتحليلٌ لبعض المعاجم الثّنائيّة، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة: المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2017.
9. مزوار الإدريسيّ: بين الهويّة والتّرجمة، *https://www.alaraby.co.uk*/. (27/ 01/ 2020، 20:30).
10. يوسف وسطاني: الفعل التّرجميّ إلى العربيّة والمعاجم: الثّوابت والمتغيّرات في اللّغة الهدف، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2017،

الهوامش:

1 - Ladmiral J R, Entre Babel et logos, FORUM, 2, Octobre, 2004, p12.

2- ينظر: عهد شوكت سبول، التّرجمة الأدبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، (رسالة ماجستير)، الجامعة الأمريكيّة، بيروت، لبنان، 2005، ص19.

3- ينظر: سعيد أحمد بيّومي، أمّ اللّغات، موقع كتب عربية، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص36.

4- ينظر: صالح بلعيد، أسئلة الترجمة أسئلة ازدهار اللغة العربية، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، الجزائر، ص17- 20.

5- ينظر: شوقي جلال، التّرجمة في العالم العربي الواقع والتّحدّي، موقع كتب عربية، ص101، 102.

6- ينظر: جمال قوي، التّموقع الإقليميّ والعالميّ للتّرجمة الأكاديميّة والمهنيّة الجزائريّة –استقصاء الواقع واستراتيجيّات النّهوض، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، الجزائر، ص41.

7- المرجع نفسه، ص42.

8- ينظر: شوقي جلال، التّرجمة في العالم العربي الواقع والتّحدّي، ص79.

9- ينظر: واقع التّرجمة في الجزائر لا يبشّر بالخير: المطلوب سياسة وطنيّة واستحداث قانون المترجم، الشروق أون لاين، https://www.echoroukonline.com/. (05/ 12/ 2008، 18:20).

10- ينظر: مزوار الإدريسيّ، بين الهويّة والتّرجمة، https://www.alaraby.co.uk/. (27/ 01/ 2020، 20:30).

11- المرجع نفسه.

12- ينظر: شوقي جلال، التّرجمة في العالم العربي الواقع والتّحدّي، ص37- 39.

13- ينظر: فتيحة بوتمر، التّرجمة من اللّغة الأمازيغيّة إلى اللّغة العربيّة قراءةٌ وتحليلٌ لبعض المعاجم الثّنائيّة، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2017.

14- ينظر: المرجع نفسه، ص44.

15- يوسف وسطاني، الفعل التّرجميّ إلى العربيّة والمعاجم: الثّوابت والمتغيّرات في اللّغة الهدف، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، ص305.

16- أسماء سليماني، محمّد بن أبي شنب: نموذج التّلاقح الثّقافيّ بين الشّرق والغرب، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، الجزائر، ص155.

17- ينظر: جميلة روقاب، التّرجمة ومعالم ازدهار اللّغة العربيّة، أعمال ملتقى: اللغة العربية والترجمة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2017، ص27- 31.